المحاضرة رقم08: مقاومة الشيخ بوعمامة 1881-1908

1. التعريف بالشخصية

هو محمد العربي بن الشيخ، الملقب بـ "بوعمامة" (نسبة إلى العمامة التي كان يرتديها). ولد عام 1838م أو 1840م بـــ "قصر الحمام الفوقاني" بمنطقة فكيك المغربية. ينحدر من سلالة الولي الصـــالح الشـــيخ عبد القادر بن محمد (ســـيدي الشـــيخ). انتقل مع عائلته إلى "مغرار التحتاني" بالجنوب الغربي الجزائري، حيث أســـس زاويته هناك. عُرف بورعه وتقواه وتأثره بالطريقة الشـيخية، وسـخر حياته لإحياء القيم الصـوفية ومحاربة الظلم والوجود الاسـتعماري. ورغم أنه لم يرث الزعامة، إلا أن كاريزمته الشـــخصـــية وســـلوكه القويم جعلاه قبلة للأتباع والمؤيدين.

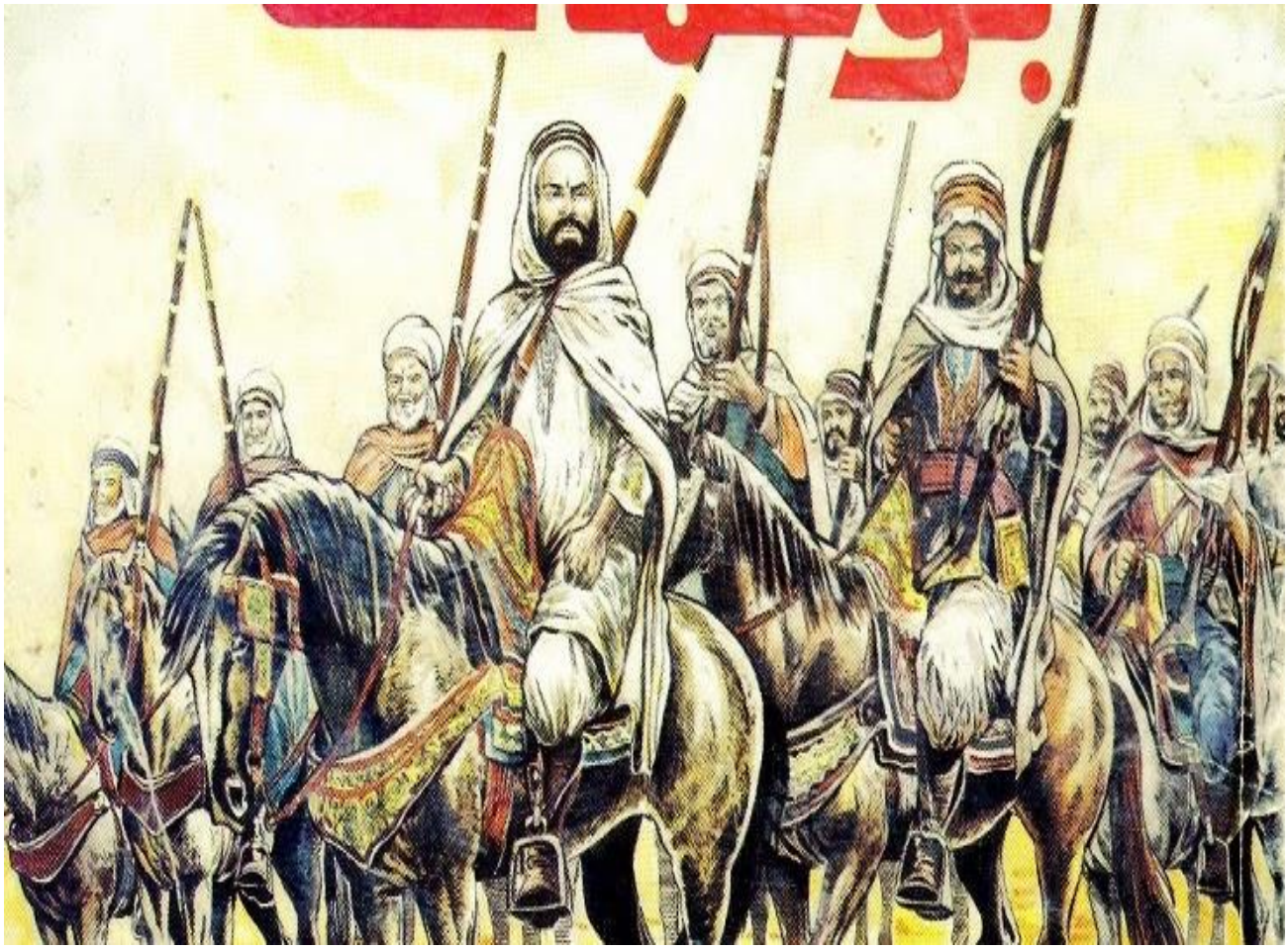

2. أسباب اندلاع مقاومة بوعمامة

اجتمعت عدة ظروف داخلية وخارجية أدت إلى تفجر هذه الثورة عام 1881م:

أ/ الأسباب الداخلية:

- ✓ التمدد الاستعماري: وصول الجيش الفرنسي إلى مشارف المناطق التي يسيطر عليها "أولاد سيدي الشيخ" واحتلال البيض (1845م).
- ✓ التضييق الأمني: إنشاء مراكز مراقبة فرنسية في منطقة "عين بن سيدي الشيخ" ومراقبة زاوية بوعمامة.
- ✓ الاستفزازات الإدارية: ممارسات "المكاتب العربية" التي زرعت الشقاق بين القبائل، وخاصة بين صفي "الشراقة" و"الغراية."
- ✓ الأوضاع الاجتماعية: انتشار المجاعة وتردي الظروف المعيشية للأهالي.
- ✓ الضغوط الاقتصادية: تقييد حركة تنقل القبائل الرعوية، مما أدى لنفوق الماشية في شتاء (1880/1879م) بسبب البرد والجوع.

ب/ الأسباب الخارجية:

- ✓ الدعم الإعلامي والديني: دور الصحافة العربية (مثل صحيفة البرهان المصرية) في مساندة الثورة، ودعوات "جمال الدين الأفغاني" للوحدة الإسلامية.
- ✓ التأثيرات الإقليمية: الغزو الفرنسي لتونس عام 1881م، وانتشار أخبار ثورة "واحة العامري" وثورة "الأوراس."
- ✓ السبب المباشر (الشرارة): محاولة السلطات الفرنسية اعتقال الطبيب الألماني (صديق بوعمامة) واغتيال الملازم "وينبرينر" على يد الثوار في 22 أفريل 1881م.

3. مراحل المقاومة

أ/ المرحلة العسكرية (1881 – 1883م):

تميزت بالصدام المسلح المباشر، وأهم محطاتها:

- ✓ معركة "مولاق" (19 ماي 1881م): بعد مواجهات "سفيسيفة"، استطاع بوعمامة بجيش قوامه 2300 مقاتل هزيمة القوات الفرنسية بقيادة الجنرال "نوسيي."

- ✓ حرب الاستنزاف: قام الثوار بقطع خطوط التلغراف ومهاجمة تجمعات المستعمرين في "فرندة" و"البيض."
- ✓ رد الفعل الفرنسي: قام الاحتلال بقصف ضريح الشيخ وتدمير الزوايا ومزارع النخيل انتقاماً من الثوار.
- ✓ معركة "جبل سمير": واصل الثوار هجماتهم في أكتوبر ونوفمبر 1881م محققين انتصارات ميدانية، رغم تدمير الفرنسيين لممتلكات الأهالي في "مغرار."

ب/ المرحلة السياسية والدبلوماسية (1883 – 1908م):

شهدت هذه المرحلة انتقال الثقل إلى العمل التنظيمي والدبلوماسي:

- ✓ الانسحاب التكتيكي: انتقل الشيخ إلى "فكيك" بالمغرب لإعادة تنظيم صفوفه بعيداً عن ضغط الملاحقة الفرنسية.
- ✓ المناورات السياسية: حاولت فرنسا التفاوض معه ومنحه "الأمان" عدة مرات (1892م و1899م)، لكنه رفض الرضوخ لشروطهم.
- ✓ استمرار الروح النضالية: رغم كبر سنه وضعف إمكانياته، ظل الشيخ رمزاً للمقاومة حتى وفاته في 7 أكتوبر 1908م بـ "وجدة" بالمغرب.

4. عوامل فشل المقاومة

- ✓ السيطرة العسكرية: إحكام الفرنسيين قبضتهم على المناطق المأهولة في الشمال ومنع الإمدادات.
- ✓ التفوق التقني: الاختلاف الشاسع في العتاد والعدد بين الجيش النظامي والمتطوعين.
- ✓ سياسة الأرض المحروقة: حصار القبائل اقتصادياً ونهب أموالها لإجبارها على التخلي عن الثورة.
- ✓ توسع النفوذ الفرنسي: تمدد الاحتلال نحو الحدود المغربية لملاحقة الشيخ.
- ✓ الفتن الداخلية: نجاح السياسة الفرنسية في إحداث شقاق بين بعض قبائل "أولاد سيدي الشيخ."

5. نتائج المقاومة

- ✓ الانتقام الجماعي: فرض عقوبات قاسية وغرامات مالية باهظة على القبائل المشاركة.
- ✓ التغيير الديموغرافي: دفع العديد من القبائل نحو الهجرة القســرية باتجاه المغرب أو الجنوب العميق.
- ✓ التسريع الاستعماري: عجلت الثورة من تنفيذ مشاريع السكك الحديدية الفرنسية لربط الشمال بالجنوب لتسهيل التدخل العسكري.
- ✓ الرمزية التاريخية: أثبتت ثورة بوعمامة التي اســـتمرت 27 عاماً أن المقاومة الجزائرية في الصحراء كانت منظمة وقادرة على إنهاك أقوى الجيوش.